المحاضرةالأولى :الفردمدخلعام

المطلب الأول :مفهوم الفرد

يعدّ مفهوم الفرد مفهوما اجتماعيا كونيُاهِمّ ا يرتبط في الأساس بالمجتمع الحديث الذي من خصائصه الإرادة والمشيئة الحرة للأفراد لتنوع الروابط المدنية الت يتقوم على عضوية الفرد، وبذلكيُخرِج مفهوم الفرد الاجتماعيالشخص َ مأنِ ْر ِ الجماعية المفرطة،ويجعله يتمتَّع بحريات تكفلها له انتماءاته للإنسانية بوصفه وحدة إنسانية في ذاته.

المطلب الثاني :تعريف الفرد

أولا-تعريفه لغة:

يقول ابن حجر الفرد معنى الفرد في اللغة هو المستقل عن غيره فلم يشاركه أحد (حافظ بن أحمد الحكمي2013:،ص105) فهو المتفرد والمتميز عن الجماعة، ومصدرهأفرد َ ، وهو عدم الجمع أو الكلية التي لايمكن تجزئتها هو خلاف التثنية والجمع، أو نصف الزوج بمعنى الوتر أو الذي لانظير له ،وجمعهأفراد ً ا وفرادى.

ثانيا -تعريفه اصطلاحا :

إن الفرد بوصفهكائنً ابيولوجي ً ا كان ولايزالموجود ً ا على الدوام منذ خلق الله أبانا آدم عليه السلام، أما الفرد من المنظور الأنثرو -سوسيولوجي؛فيُعرف بشكل عام في هذا المجالاستناد ً ا إلى علاقته بالجماعة الاجتماعية والمجتمع، بوصفه النواة الأساسية في تصوره حول مفهوم ذاته وفي نظر المجتمع الذي ينتمي إليه،فهومكوّ ن اجتماعي يتضمن جميع الأفكار والمشاعر والاتجاهات التي يملكها خلال تعامله مع المجتمع وهو كائن مستقل بذاته، بمكنوناته وبوعيه وبمصالحه، يتمتع بحقوق في إطار الجماعة الاجتماعية التي يعيش ضمنها، وتقع على عاتقه واجباتيُلزم بأدائها، وغالبا ماتتَّفِق مصالحه مع مصالح المجتمع -ضمن الفكر الوسطي

الإسلامي -في حين تتعارض مصالحه غالبا مع مصالح الأفراد الآخرين (ضمن الفكر العالمي الليبرالي) .فهو لكونه متفردا يستطيع إعادة إنتاج ذاته الاجتماعية والثقافية وتعديل أو تغيير طبيعة ودرجة تفاعله مع الآخر، فيمكنه إذًا كاختيار وتعديل السلوكيات التي يقررها مفيدة وايجابية تغير من واقعه وترسم مستقبله وتخط مصيره انطلاقا من قناعاته وقراراته الشخصية.

يقول كانط في كتابه "نقد أسس ميتافيزيقا الأخلاق" :"أن الفرد عموما كل كائن عاقل، يوجد كغاية في ذاته لا فقط كوسيلة يمكن لهذه الإرادة أو تلك أن تستعملها كما تريد. ففي كل أفعاله، سواء تلك التي تعنيه هو نفسه أو تلك التي تعني كائنات عاقلة أخرى، يتعين اعتباره كغاية في نفس الوقت."

أمَّا الفرد في المجتمعات المدنية المرتبطة بمظاهر إكراهات الحداثة، يترجم نفسه كذات اجتماعية مستقلة بمركز ودور اجتماعيين يحددان إلى درجة كبيرة طبيعة تفاعلاته مع الآخرين ومدى قدرته أو رغبته لأداء أدوار فاعلة وفريدة داخل مجتمعه أين يتعهَّده بتكيُّفات ذات صلة بالبيئة الاجتماعية وبالإطار الثقافي المجتمعي.

فالفردية تفترض تميّز كل فرد عن الآخر، حيث يدعو نيتشه أنيكونكل إنسان متفردا من خلال بناء ذاته لدرجة أن لايفهمه الآخرون بمسمى" الفرد السَّيد "الذي لايشبه إلا ذاته والمتميز بإرادته الخاصة المستقلة الدؤوبة، والمتجاوز لأخلاق العادات والتقاليد الاجتماعية ليؤكد فرديته، في حين يقيِّم ديكارتالتفرُّد من خلال ذاتية الانفعالات والخلاص حيث تكون الفردية طارئة على الذات العارفة التي تُشكِّلها الذِّهن الذي هو واحد عند جميع البشر. لذلك مايميز الفرد الحداثي أو مايحاول بناءه من مفهوم أوتعريف متعلق به التحوّل من وصفهعوذ اجتماعيًا إلى وصفه الفاعل الاجتماعيتحوّلت طلب من الغرب ثلاثة قرون استغرقتها ثورة الحداثة لتغيير صورة الحياة وتعريف الفرد الإنسان ومفاهيمه الثقافية.

المطلب الثالث :خصائص الفرد الاجتماعي

يتميز الفرد الاجتماعي بجملة من الخصائص منها مايلي:

أولا -الفردوا ٍن كان لديه ميول معينة أو رغبات خاصة إلا أنَّه تستهويه الأشياء المرتبطة ببيئته لإشباع حاجاته الذاتية والاجتماعية.

ثانيا-تغيير الفرد لمواقفه وأوضاعه ،فمن المعروف أن كل وضع اجتماعي يترتب عليه أن يكون للفرد مواقف واتجاهات معينة تتناسب مع هذا الوضع، فاتجاه الطالب نحو الحياة يتغير إذا أصبح موظفا والفقير تتغير اتجاهاته نحو موضوعات عديدة إذا أتيحت له الفرصة ليصبح غنيًّا.

ثالثا-تغيير الجماعة المرجعية وهي الجماعة التي يرتبط بها الفرد ويحمل نفس قيمها ويسعى نحو أهدافها ومعاييرها، ويمكن أن يغير الفرد من قيمهومعايير ه إذا انتقل إلى جماعة أخرى لها قيم ومعايير وأهداف مختلفة، فهو يرتبط بهذه الجماعة الجديدة كجماعة مرجعية له بعد أن كان له جماعة مرجعية- تلك التي قام بتغييرها-

رابعا-التغير القسري في السلوك إذا تعرض الفرد لظروف اجتماعية وثقافية اضطرارية فان ذلك قد يساهم في تغيير سلوكه بشكل مؤقت أو دائم سواء كان ذلك في الاتجاه الايجابي أو الاتجاه السلبي.

خامسا-إمكانية تغيير الإطار المرجعي للفرد والذي يشمل مجمل القيم والمعتقدات والديانة والمعايير والشعائر والطقوس والهوية، كما هو الحال في حالة الإلحاد المعاصر أي نيغير الفرد من قناعاته الفكرية والفلسفية ويتمركز اعتقاده حول فكرة إنكار وجود الخالق سبحانه، لأن الاعتقاد بوجود الله تعالى يلغي كرامة وسلطان الإنسان على الأرض،حيث يعتقد فويرباخ أن نقطة التحوُّل الكبرى في تاريخ البشرية ستكون في اللحظة التي سيسعى فيها الإنسان أن يصبح إله

على بقية بني جنسه، في حين أن الإيمان مجموعة من المسلّمات واليقينيات القلبية التي لاينقصها الدليل ولا تعوزها الحجة في الدين الإسلامي، بل يغلُب عليها برهان العقل وأنواره، وهو مايدحض أكثر ماينادي ويفخر به الملحد (العقلانية)

سادسا-وجود تفاعل بين العقول الفردية من خلال عمليتي الإيحاء والتقليد حسب نظرية قوستافلوبون التقليد هو أساس نشأة المجتمع وفقَ مجموع تفاعلات الخصائص والسِّمات والقِيم الفردية.

سابعا-كل فرد يحتاج إلى الانتماء إلى مجموعة عائلية حيث تعدُّ الأسرة هي المجموعة المركزية للفرد حسُب وجوده ضمنها، ويشبع حاجته للتواصل وتطوير ذاته من خلالها.

ثامنا-المجتمع هو أساس وجود الفرد وهو بمثابة إكراه يخضع له والذي يفرض عليه قيم او معايير تنتج تصرفات تابعة لها لا تخرج عن نطاقها، ويعتبر دوركايم المجتمع كُلاً (un Holon) فوق الأفراد والذي حرّكهم، فالوعي الذي يتحلى به الأفراد ماهو إلا جزء من الوعي الجماعي للمجتمع، وهذا مايجعل الفعل الاجتماعي ينتج خارج الفرد لأنَّه يخضع لإكراه المجتمع .

تاسعا-لايمكن معارضة الفردية والجماعية،لأنَّ المجتمع يتكوَّن من مجموعة من الأفراد الذين تجري بينهم التفاعلات والتبادلات المختلفة.

عاشرا– لكل فرد ثقافة متضمَّنة فيه من خلال عملية التنشئة الاجتماعية،ويعدُّ بذلك الفعل الذي ينتجه عنها عقلانيا مادام يقوم بممارسات وأفعال تتصف بالعقلانية والتي تشمل عددا من الأفعال الاجتماعية

المطلب الرابع :فردانية الفرد

اعتبر فيبر وآرورأن الفردانية جاءت للتمييز بين الفرد والجماعة.. وذلك من أجل فهم النشاط الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية ككل انطلاقا من الفرد، فالفردانية عند ماكس فيبر لاتهتم إلاَّ بتصرفات الفاعلين الفرديين دون الاهتمام بالمفاهيم الجماعية،وهي ترتكز أساسا على

التصرفات العقلانية، فإذا أخذنا مثلا ظاهرة زيادة الأسعار التي تؤدي إلى ضعف الطلب،هذه الوضعية تفسر بحسب الفردانية من خلال الفرد المستهلك الذي أراد أن يحافظ على قدرته الشرائية، لذلك فهو يفضل شراء سلعة مشابهة بثمن اقل أو الاستغناء كليا عن هذه السلعة.

أما بودون فقد قام بالتمييز بين ثلاثة أشكال من الفردانية

- **فردانية علمية** :وهي فردانية وقائع Individualisme du faitsتحدد ممارسات عقلانية وتمثيلات اجتماعية تجعل من الفرد وكأن له وجود مستقل، يجب عليه أن يؤكّده أو يطوّره لكي يتواجد اجتماعيا، ومن خلالها نستطيع تشخيص وجود الفرد داخل المجتمع.
- **فردانيةأخلاقية:** وهي ترى مايراه الاتجاه الذي يعتقد بأن الفرد هو المرجعية الأساسية التي يمكن من خلالها شرعنة المعايير والمؤسسات وحتى اختيار القيم، وهي بذلك تعارض الجماعية.
- الفردانيةالمنهجية :وهي التي تبحث عن تفسير الظاهرة الاجتماعية من خلال الفرد الذي ينتمي إلى مجتمع فرداني،وهي بذلك تعارض الشمولية.

المطلب الخامس :التنشئة الاجتماعية للفرد

التنشئة الاجتماعية هي عمليةتتعلّق بالإنسان في سياقه الاجتماعي، من خلال إكسابه الخصائص الأساسية للمجتمع الذي يعيش فيه ممثلة في القيم والاتجاهات والأعراف السائدة في مجتمعه ومعايير السلوك الاجتماعي المرغوب فيه، حيث تمثل القيم المثل العليا التي يلتزم بها أفراد المجتمع (أعضاؤه) من قيم أخلاقية ودينية واجتماعية وغيرها مثل الأدب ،والصدق، والحرية، والنظافة .أما القواعد فهي قواعد للسلوك والحياة داخلال مجتمع والتي من المفترض أن تمتثل مثل قولنا :قل مرحبا،لا تسرق،غسل اليدين..وغيرها

وهي عملية مستمرة عبر زمن متصل تبدأ من اللحظات الأولى من حياة الفرد وتنتهي في مرحلتها الأوليَّة في الأسرة حينما يتمكن الطفل الصغير من تمثُّل الأدوار والسلوكيات المرتبطة ببيئته الأسرية، حيث يتمكَّن من اتِّخاذ المواقف بالنَّظر إلى الآخر كعضو واعي في المجتمع وتستمر عملية التطبيع الاجتماعي في باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية (كالمدرسة والمسجد والنوادي والجمعيات...) إلى غاية وفاة الفرد، وهي عملية تحويل الكائن البيولوجي إلى كائن اجتماعي تحدث على مرحلتين (عمليتين) هما عملية البدء وعملية التكامل،لتشكّل بذلك رابطة ثلاثية هي جعل الفرد"كياناً اجتماعياً" ،لمساعدته على " إنشاء روابط اجتماعية" و" خلق التماسك الاجتماعي "

والتنشئة الاجتماعية ضرورة حتمية لأن الفرد لايمكنه إنقاذ إنسانيته إلا باحترام قواعد اجتماعية معينة، والمجتمع الفاقد للمعايير والقيم والمعايير الواضحة التي تعرف بالخطأ والصواب-بحسب دوركايم- هو مجتمع يتصف باللامعيارية التي تجعل الفرد لايشعر بالضَّمان والاستقرار.

ويلخِّص دوركايم مفهوم اللامعيارية في:

- **على مستوى الجماعة** :هي تدمير مفاجئ للتوازن الاجتماعي وللبناء الأخلاقي في المجتمع.
- **على مستوى الفرد**:يتمثل في ظهور الفردانية بحيث يصبح الأفراد لا يؤمنون بنفس القيم.

المطلب السادس :للفرد ثقافة

الفرد هو أساس المجتمع، وأساس كبناء اجتماعي صغيراً كان أم كبيراً .ولذلك فإن مواد البناء التي يتكون منها أي صرح تعطيه المواصفات العامة التي يتميز بها ،لذلكولأنّ كلّ مجتمع من المجتمعات هو عبارة عن سلسلة من الأحداث والمواقف التي تؤثر على قيمه ومبادئه وعاداته وتقاليده وآماله، وتراثه الفكري والمادي تؤثر بدورها على بناء الفرد فلا بد أن نرى صفات

الفرد الاجتماعية الخاصة به كثقافته ومبادئه وقيمه وأفكاره، مترجمة بوضوح سواء على مستوى الفرد أو على مستوى الجماعة أو المجتمع.

يشير بارسونز إلى عملية التنشئة الاجتماعية التي لقّن بواسطتها الفرد القواعد والمعايير الثقافية أو الضوابط التي تُسهم في حفظ نظام المجتمع وتوازنه ،ويعود لها الفضل في ضبط سلوك الفرد وتحديد سمات البناء الأساسي لشخصيته ،الذي ينعكس عل سمات الشخصية الاجتماعية وأشكال الفعل الاجتماعي والسِّمات المشتركة بينه وبين باقي أفراد المجتمع الذي يعيش فيه.

وقد يتبادر إلى الأذهان هنا أنّ الثقافة كمجموع من العادات والسلوكيات والقيم والتقاليد واللغة والمهارات وغيرها قد يلقنها الفرد من مجتمعه تلقائيا دون تعقل أو انتقاء، لكن الحقيقةأنّه لا يتقبَّلها أو يكتسبها من غير تمحيص، كون خصائصه وسماته النفسية وحالته المزاجية والوراثية تؤثر إلى جانب أساليب ومواقف التفاعل الاجتماعي التي تعرض لها أويمرُّ بها في اكتسابه للثقافة التي تشكّل فيما بعد طريقته للتعبير عن ذاته النفسية والاجتماعية وتساعده على إشباع حاجاته بوسائل مقبولة اجتماعيا ،وتشكِّل شخصيته كفرد كما تحدد أساليب التنشئة الاجتماعية للمراحل الأولى داخل الأسرة التي هيمحضِ ن الطفل وبيئته الطبيعية التي نشّأ فيها على القيم الدينية والخلقية، وهي إلى جانب ذلك كل وحدة اجتماعية ذات استقلال منزلي واقتصادي ،حيث يساعده االمجتمع بدوره على تكوين ثقافة مشتركة لأعضائه وأفراده، يصنع منها النمط الذي يلائم ثقافته.،ثقافة واحدة تجمعهم و توحدهم في ذات المصير المشترك وتميزه مع من سواهم من الثقافات الأخر ى وهو ما تؤكده نظرية الشخصية الوطنية (المجتمعية) روثبيندكتومارجريتميد التي ترى أن الشخصية هي نتاج مجموعة من العوامل المتكاملة والمترابطة وأن أبناء المجتمع الواحد يتشابهون في شخصياتهم نتيجة تشابه أساليب التنشئة الاجتماعية التي يتعرضون لها والتي تخلق شخصية مجتمعية (وطنية) واحدة في المجتمع الواحد.